## أحمد رفيق عوض في «بلاد البحر»:

# أسطورة النيص الأخضر كالليل

**مراد السوداني***

■ وقت الحكمة، قشرة الرواية ومدارها الشفيف.. الحكمة المحمولة على جمار التجربة والوجع والحنين الجارف والغربة الغريبة وفوران اللحظة بحيثيات الخسارات والمرارات بشمولها الباذخ العميم.. إذ البلاد تحت مسنّ الأعداء وأدوات الصحن والطحن والإلغاء الذي يعاد إنتاجه على كلّ ما هو أنقى وأبقى.. تنهض الحكمة بين تفاؤل إرادة القوّة وقوّة الإرادة لتعزيز سياق المواجهة مع النقيض وسياقاته السوداء الموغلة في القبح وزنخ الاستباحة وزهومة القتل وشريعة الموت المجاني.. تذهب لغة الرواية تجاه الحقول الوعرة الشائكة الملغومة.. تفاصيل تخلع القلب وتلقي به في دوّالتيه الذي يزحف يابساً جافاً وندفعه عنّا بالروح المذخرة والكلام العفي النقي..

في التذكر وبُقْيا الماضي الذي تكتمل به اللحظة في ذهابها إلى غدها الأخضر القمري.. في التذكر الصارخ تستعيد الروح ضراوتها ونقاءها لبقائها المنشود ومرتجى الرؤيا ومراقي اللغة.. عبر غير وسيلة تحاول الرواية صياغة الأسطورة الطالعة من دخان الواقع وفداحة اليومي.. تسير لغة الرواية بسردية اليومي مشمولة بغضب كأني به سبع نار.. بذلك تقترب الرواية مما هو حقيقي وكائن.. الرواية هنا مساءلة ومنازلة للعتمة بمحاة الاقتدار على التغيير.. تستجمع الرواية نقاط الضوء في التجربة لصياغة غير العادي من العادي وغير المألوف من المألوف واللامتعيّن من المتعيّن.. انشباكات وتداخل وفوضى رؤى على محور البوح ومُرار الكشف المكين.. العين الراوية تتجاوز المشاهدة إلى ارتداد جوّاني.. وبذلك تتبدى العوالم الداخلية بكل تناقضها الجامح وهبوبها اللافح عبر أسطرة استثنائية ملحّة..

الرواية انحياز للأب وإعلاء له.. ثمّة تصالحية منصفة وحقيقية.. الأب يتأسطر ويدخل في التحوّل الفذّ.. يصير فراشة مبقعة بالبساتين وذوب البنفسج وشقائق الجبال وأزهار البرّ الذي يتنفس عمّا هو غرائبي ولاذع.. ويصير نيصاً ليلياً موغلاً في متاهته محروساً بالظلمة والوحدة ومسامرة النجوم.. وتوغل الأسطرة في توهجها باستدعاء هذا الكائن الليلي النبيل المتفرد البكّاء والنوّاح العميق الذي يرجّ الوديان والمغائر وجهات الحلكة.. النيص الكائن الغريب الذي نسجت حوله الذائقة الشعبية الحكايا والقصص.. النائح الجائح في الوعر ، الذي يرجو ويتأمل ويتألم فينعف ريشه وإبره الحادة التي يحملها على ظهره وعنقه، يرشق مؤذيه فيدميه.. بطيئاً صموتاً، تجذبه الروائح والثمار والبزور ، منعزلاً راجياً.. تراه وكذلك صيّاده بالصفات ذاتها والحمولة ذاتها.. إنه النيص المثقل القلب الذي خلع التراب والقش والروائح وجذور الباصول والنرجس والزعمطوط.. هكذا قال السارد.. النيص الغامض والمتوجس والنبيل والواثق الأكيد يحمل سرّه وصبره وناره ويغيب في لجة الساتر البهيم.. يعابث الأرواح الزرقاء والبراري في البحث عن الشبيه. هنا يأخذ الأب لبوس النيص ويصيره.. بذلك يسيطر الجميل على النص أو يتم حضوره بفاعلية لإنجاز مقاومة فعّالة وتثبيت الروح على المجابهة ومواصلة الطريق على الرغم من وعورتها ولهاثها وتوحشها.. نيص البراري الذي يخصّنا وحدنا مثلما يخص ذئب البراري هيرمان هيسه.. الريف الفلسطيني له أساطيره أيضاً، وطاقته الروحية.. الرواية تكشف باقتدار طبقات الوعي الريفي وتجويفاته الداخلية.. فتخلق المختلف والفذّ ولو لم يكن المؤلف صاحب عين وقريحة ومغامرة لما تحقق له ما انتوى وما أراد.. أو ليس «الرمز أقوى من التجسيد» و«الافتراض أقوى من الحقائق» كما قال صاحب الكلام..

***

بطاقة التاريخ وأرومة الأسلاف ومحطاته التي تغلي يستعين بها الراوي ليمنح المكان بطولة يستحقها.. إنها فلسطين التي تقلّب على جسدها الطهور الغزاة والقتلة ونهضت من رمادها ذاهبة في الحلم إلى منتآه.. نرى في الرواية وادي العبهر وتلة الشومر ومنطقة الشعراوية.. ثالوث يزحف بالروح على أكتاف الجبال وحفافي الوديان.. فيها يتقدم الراوي بأسراب طيوره: الهدهد.. الزريقي الرقطي.. الخضيري، الشنانير، الحجل ، الزرعية (القبرة).. نداهاً للبعيد..

ولا تكتمل الرواية إلاّ بالأم سيدة النواحي كلّها وفيض البركة العالية بامتياز.. الأم التي تنتصر بأحلامها وتورّثها.. بالحلم تحيا وللحلم تحيا.. الحلم يدلّ عليها.. وتدلّ بالحلم على ما تريد وترضى.. الرضى كاملاً.. الأب في التحول والأم في الحلم سياق العطاء المحض والبقاء على قيد الصبر..

***

الرواية لا تصانع ولا تداهن. تكشف أسرار الدولة بقصد لفت الانتباه ـ كسابقاتها من روايات السارد ـ.. وهي عدوة المصانعة وصُنّاعها تماماً، تسلّط الضوء على ما هو معتم تفضح فساد المؤسسة وتسخر من الصغار والأذلاء وتصرّ على كشف الغطاء عن الكثير من الأوجه التي تجملت وليس لها من الجمال نصيب.. بالانكشاف يظهر فائض القبح المتواري والمتلطي..

يريد الروائي أن لا يكون فقط، شهيد اللحظة، بل شاهدها وناقدها ومحاكمها مستعيناً بمنطق التاريخ وتاريخ المنطق المرفوع على المعاناة واللوعة والحسرات الجسام.

مؤكداً أن المجتمع المتهالك والمنهوك والتافه لا يهزم الاحتلال.. ينتصر السارد للبلاد، لأنها بلادنا بتفاصيلها وحيثياتها ، بما لها وما عليها.. ويبحث عن نقاط القوة ويعزّزها ويشيح عن الكابي والمبتذل والمبذول.. منحازاً لما هو ثرّ وفعّال وجميل في الروح والتجربة.. درس المحبة القاسية.

***

في إهداء الرواية : (إلى المتحضرين الكذبة) إشارة إلى قصدية الراوية، فهي تفضح الأدعياء وأشباه المثقفين والمتهالكين والمستلبين، وترتدّ إلى بلادنا معلنة الانحياز الكامل للانسان والجذور العالية.. وتخلُص الرواية للقول: كن قوياً يصدّقك الآخرون.. فلا تقدير لمن لا قدرة له!

* شاعر من فلسطين

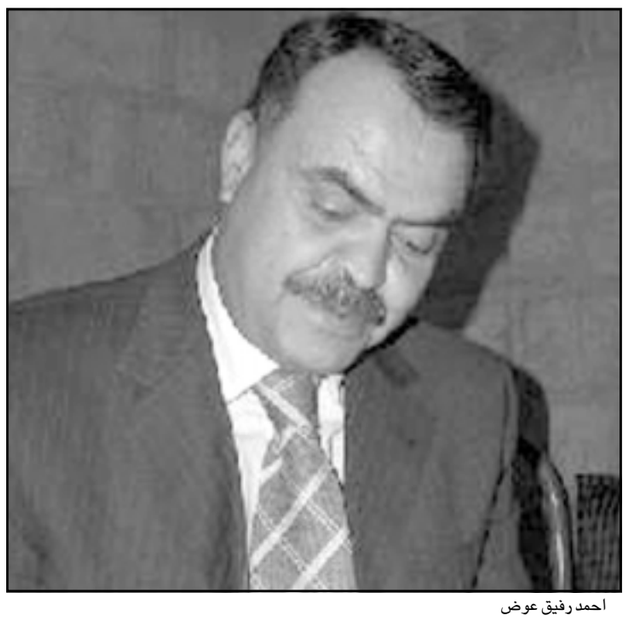

احمد رفيق عوض

# زينب حفني: فارس لنصرة مظلومات خط الاستواء

**بيروت ـ من جورج جحا:**

تطل الكاتبة السعودية زينب حفني في مجموعتها القصصية الصادرة اخيرا في صورة فارس يحارب الظلم وبالتحديد ينتصر للنساء المظلومات المتروكات للاسى وهن لم يتجاوزن منتصف العمر. المجموعة التي اصدرتها اخيرا المؤسسة العربية للدراسات والنشر في 110 صفحات متوسطة القطع اشتملت على 12 قصة قصيرة وحملت عنوانا رمزيا معبرا هو «نساء عند خط الاستواء». نساء قصص زينب حفني المظلومات ضحايا الرجل وتحكمه واستبداده.. هن في مرحلة «يستوي» فيها العمر بين الشباب وفترة الانتقال منه الى الكهولة وخط الشيخوخة. انها من ناحية اخرى مرحلة نضوج عاطفي نفسي وجسدي. ومن المعاني المصاحبة لخط الاستواء كذلك.. الحرارة. والحرارة في العمر «الاستوائي» خطرة قد تدخل الانسان خاصة الانسان المظلوم في مرحلة انتقالية بل «انزلاقية» في حالات كثيرة. الكاتبة تدعو في شكل تبشيري اجتماعي الى تجاوز الانزلاق بالانخراط في الحياة السليمة الصحية الصحيحة. وعلى رغم ان تحكم الفكرة في قصص حفني يضعف فنيّتها احيانا اذ انه يجعل القارىء يدرك بصورة عامة النهايات التي سيصل اليها كثير من قصصها.. فقدرة الكاتبة على السرد جيدة تعوض القارىء عن بعض ما تخلقه الصفة «الوعظية» فيه من حرمان من عنصر المفاجأة والتشويق. الكاتبة مصلحة اجتماعية ومدافعة عن حقوق الانسان من خلال حقوق المرأة المحرومة من كثير من هذه الحقوق. لكنها مع ذلك وعلى رغم ما سلف ذكره لا تقع في محظور البرودة الوعظية حتى حيث تتحول بعض قصصها الى شبه دراسة اجتماعية كما في القصة التي اعطت اسمها للمجموعة. اهدت الكاتبة قصصها اهداء «اتهاميا» مبطنا الى جدة الجنس البشري وكأنها تلمح الى انه حتى الان ليس هناك من وسيلة لرفع الظلم عن المرأة وأن المتنفس شبه الوحيد هو الكتابة المتمردة.. فقالت «الى حواء.. المتهمة الوحيدة في قضية اخراج ادم من الجنة. اليها.. اهدي حروفي الثائرة عسى ان تجد فيها بعض العزاء».

الا ان تمرد زينب حفني يختلف عما الفنا قراءته من صور تمرد في نتاج قسم كبير من النساء الخليجيات. تمرد كثير منهن اتخذ صورة التفلت الجنسي بمعنى ان تصور الممارسة الجنسية ممارسة لحقوق الانسان. غالبية صور التمرد عند حفني كانت تمردا على الظلم والحرمان وفي الوقت نفسه على النوع المشار اليه من التمرد. انه مطالبة بحقوق وفي الوقت نفسه رفض للرذيلة واذلال النفس وللفحش الجنسي والعلاقات الجنسية «المثلية» التي تصفها بانها تتفشى نتيجة الحرمان وانغلاق ابواب الحرية امام المرأة الا ابواب نساء مثلها هن في الغالب محرومات ايضا. تعترف بالظلم وترفض تبرير ما تعتبره خطيئة ورذيلة وتدعو المرأة الى ان تحترم ذاتها. القصة الاولى «ايقاعات انثوية محرمة» تقوم على وجهة نظر اختصرتها الكاتبة بالقول «تبا للرجل. ان اعطته المرأة ازدراها بعد ان تصيبه التخمة منها.. وان ضنت عليه اتهمها بالرجعية والتخلف». تدعو الكاتبة الى عدم اذلال الذات وتصور بسرد جيد حدثا قد لا يكون مقنعا تمام الاقناع في تتابعه. الموضوع شبه كلاسيكي. امرأة تزوجت من رجل احبته فسلمته نفسها قبل الزواج وبعد ذلك لم تدم قصة الحب فطلقها بعد ان قال لها خلال شجار «كيف اثق بامرأة وهبتني جسدها قبل ان اتزوجها.».

غلاف الكتاب

خلال سفرة في باريس تعرفت الى رجل اعجبها وبدا انها اعجبته. صباحا وهما في الفرش ناولها مبلغا من المال وطلب منها ان تتركه ينام. جرحها وأثار جنونها ان ينظر اليها كأنها مومس وهي فعلت ذلك عن اعجاب. خلال دعت الى موقف خلقي من خلال تصرف معين. لدى خروجها دامعة من الفندق تبحث عن سيارة اجرة فلا تجد .. مرّ قربها رجل في سيارة ورمقها باعجاب. تذكرت ما جرى لها فاخذت تصيح به بالعربية وهو ينظر اليها بدهشة «لا اريد الركوب. اغرب عن وجهي ايها الوغد».

في «هل امارس جنوني» موقف مألوف. الفتاة المعجبة بمثالها الاعلى الكاتب الكبير داعية التحرر والتحرير تطلب مساعدته ليفتح امامها مجال ولوج عالم الادب والكتابة في الصحف فيرحب بها مادحا موهبتها. يطلب منها ان تقابله ويحاول اقناعها بضرورة التحرر وممارسة شيء من الجنون اي التمرد على التقاليد كي تغني خبرتها الانسانية والادبية. غادرته غاضبة وأقعدها خرس عن الكلام وكانت تود ان تقول له «انت اكبر مخادع كاذب. ما تقوله بين دفات كتبك وما تضمره شيء اخر.ترى كم من الناس مخدوعون فيك.».

في «لا بد ان تغرد البلابل» امرأة تتعرف الى صديقات من مستويات عالية يجمعهن الحرمان. تكتشف خلال سهرة انها وسط حفلة صاخبة لمثليات الجنس. تحاول سيدة القصر اقناعها بعلاقة وتشجعها صديقتها على ذلك كنوع من التعويض عن الحرمان وظلم الرجال لكنها ترفض. الخاتمة تشكل دعوة من الكاتبة الى عدم اليأس والاستسلام فلا بد من ان تشرق الشمس ويأتي صباح جديد يحمل اليها حبا حقيقيا. في «طقوس غير شرعية» حملة من خلال قصة شيخ دجال على المشعوذين الذين يستغلون حاجة بعض النساء الى الزواج بالسحر والادعاء الكاذب بالتدين فيسرقون اموالهن ويغتصبونهن. في «امرأة على فوهة بركان» دعوة الى الرفض. امرأة تصل الى حدود السقوط ثم تعود الى رشدها وكرامتها. في «وفاحت رائحة عرقها» الطلاق الظالم والزوج الغني يترك طليقته وأطفاله مع نفقة قليلة تظهر تواطؤ القاضي مع الظالم. المرأة الضحية المسكينة تجد نفسها في طريق الرذيلة التي تكاد تقضي عليها لكن العودة الى الطريق القويم تتيح لابنتها زواجا جيدا. قصة «نساء عند خط الاستواء» تصور اجتماع نساء مظلومات وقبل بدء حفلتهن تتناقشن في مطالبهن المحقة منزليا واجتماعيا وسياسيا وثقافيا. كل منهن تكتب لائحة مطالب.

الا ان الامر يبدو عبثيا تصوره احداهن قائلة «لكن حتى المثقفين من الرجال لا حول لهم ولا قوة في عالمنا العربي. كلهم تنهش جلودهم مخالب القمع والاستبداد. ان الطريق ما زال طويلا». بعد ذلك ينهض الى العشاء ثم «نسمة خفيفة هبت. تطايرت اوراق احلامهن بعيدا خارج اسوار الحديقة. داست اقدام المارة على الامنيات المستحيلة». (رويترز)

## شاهد في

# مضادات معرفية للشّعر!

**خيري منصور***

■ قد يكون الشعر العربي غادر متردم القصيدة، لكنه لم يغادر متردمات عديدة واصلت نفوذها في الوعي وباطنه قرونا كما لو أنها مجرات تلاشت لكن ضوءها ما يزال مسافرا نحو الأرض، فالمديح لم يبدل غير الممدوح، وقصيدة المناسبة متعددة الأزواج والعشاق معا، لم تفك ارتباطها العضوي بالأم الجاهلية، لهذا اغتربت الحداثة قلبا وقالبا وعانت من حصار جعلها مرادفا للخيانة الوطنية، وكان على من يقترفها في خمسينات القرن الماضي أن يجازف بما لا يطيق، من الاقصاء والنبذ كما لو كان بعيرا أجرب في القافلة المعافاة...

ومن ورثوا عن أجدادهم خرافة وادي عبقر تسلحوا ضد تثقيف الذات والقصيدة بأمية ذات حمولة شاقة، وبدلا عن نقد الذات حصل العكس وهو عزل الشعر عن الثقافة لأنها تفسده، ما دام الالهام حكرا على الشيطان الذكر لا الانثى حسب أدبيات جنسوية استبدت بالعقل، ولا نستغرب اقتران الثقافة كهاجس لدى شعراء الحداثة في العالم كله بالشعر، ما داموا قد قرروا خوض حرب ناعمة للتبشير بحساسية جدية وتحرير المتلقي من سطوة الذائقة الاتباعية التي حولت القطعنة الى ايديولوجيا، وحولت امتياز ما هو استثنائي الى عيب أو مثلبة!

ولدينا في مطالع هذه الالفية شعراء تلقحوا بأمصال عجيبة ضد تثقيف الذات، واختبار الوعي والرؤى، ما دامت الموهبة بمعناها البدائي هي الملاذ الحصين، والضمانة الأبدية لاجتراح المستحيل، وتحويل الغراب الى حمامة، والحجر الى سلحفاة!

***

كان شعراء الرومانسية الانكليز، أول من أعاد للشعر اعتباره المعرفي، رغم أن أحدهم وهو كيتس قذف من أخبره بأن قوس قزح ليس سوى ظاهرة فيزيائية قابلة للتفكيك بالكأس الذي كان يشرب منه، ورغم أن الرومانسية تعلن قطيعة ما مع العلم بمعناه الدقيق، الا ان ثلاثة شعراء على الأقل من اعلامها نظروا، وكتبوا نقدا ومقدمات تبشيرية بالتيار الذي كان يومئذ صادما وحديثا بالنسبة للموجة التي سبقته!

وقد تكرر الشيء ذاته مع شعراء الحداثة في الربع الاول من القرن العشرين، بحيث يصعب الفصل على سبيل المثال بين اليوت الشاعر واليوت الناقد، وكأنه هو الآخر مع بعض مجايليه كان يدافع عن حساسية جديدة، ويبرر الانقطاع عن الماضي، لهذا قوبلت قصيدته أغنية حب الى العاشق بروفروك بكثير من الاستنكار والاستهجان، وبلغت العدوى شعراء الحداثة العرب، الذين واجهوا بدورهم استنكارا واستخفافا من مؤسسات وشعراء ممهورين بأختام الدولة، لهذا نادرا ما نجد مجموعة شعرية لأحدهم لا تخلو من تقديم سواء كان بقلم الشاعر ذاته أو بقلم ناقد يؤازر التيار الحداثوي الذي ينتسب اليه...

وقد ينفرد صلاح عبد الصبور بين الشعراء العرب الرواد بالدفاع عن حصة المعرفة في مشروع الشاعر، وان كان عبد الصبور قد ورط نفسه أحيانا بعناقيد من الافكار والمعارف التي عانت قصائده من سوء هضم فني وتمثل لها... لكن سرعان ما عادت الأجيال التي ورثت تلك الحمولة إلى احتياطها التقليدي وهو وادي عبقر وسائر المفردات والمصطلحات التي تقدم الشعر مكتفيا بذاته ومنقطعا عن الثقافة لأنها تفسده، وبرزت أمثلة عديدة جسدت ما سمي الثقافة الشفاهية، والعناوين المتداولة في المقاهي وعلى أغلفة الكتب، وقرأنا مئات النصوص المطلية بمفردات عارية من معجم الصوفيين، مثلما قرأنا نصوصا لا حصر لها يجاهد أصحابها كي لا يقولوا شيئا، عملا بنصيحة مجهولة المصدر الحقيقي رغم كثرة من تنسب اليهم وهي ان الشعر يجب أن يكون مجرد اصوات ، وان غموضه الفحمي لا الماسي شرط حداثته، وكان من أول نتائج هذه اللعبة انصراف القراء عن الشعراء الا نادرا، وانصراف الشعراء انفسهم عن الشعر أيضا، لأنهم ارتطموا بجدار!

وما من جهة تتحمل مسؤولية هذه الفوضى كالنقد، فهو اما أكاديمي مستغرق في شجون صغرى تتعلق بالترقيات واستكمال نصاب الاستاذية، او محترف مداجاة، وغير مغامر، ويفضل ان يسلك طرقا مطروقة لأنه يؤثر السلامة ويخاف من المجازفة غير المأمونة العاقبة.

ولا نستغرب مثلا ما يقوله أهم الشعراء العرب المعاصرين عن عدم انتفاعهم بالنقد، ونادرا ما نسمع من أحدهم انه قرأ نقدا أعانه او دفعه الى مراجعة نصوصه، بحيث أصبح بعض هؤلاء الشعراء يشكون من الاطراء المجاني وتدليك العواطف.

***

لو شئنا الخروج من هذا التعميم قليلا، فإن ما نشاهده ونسمعه من بعض الشعراء الاكثر ادعاء بالحداثة يصيبنا بما هو أكثر من الدهشة، فهم يعيشون في كوكب آخر، كائناته قاموسية وعشبه حبر أخضر، ونساؤه أشباح وبلا أسماء او صفات، وقد يبدو التعالي المفتعل عن السياسة بمعناها الحدثي وبكل ما تضغط به على الأنوف أشبه بانتحار بسكين مذهبة او الشنق بخيط من حرير، ولا يخطر ببال المتعالين عن الشروط التي تحاصرهم ان السياسة تحدد منسوب حليب أطفالهم، ومدى القدرة التي يستطيعون تحقيقها تعبيرا عن حلم المغامرة بالسفر والتجوال الحر!

ولو قام صحفي ذو فضول بتقديم استطلاع عن مكتبات اكثر الشعراء لوجد أنها تخلو من أهم منجزات العلوم، والفلسفة، والمعرفة على اختلاف حقولها، فالثقافة تنحصر في نطاق أدبي محض، لأن موعظة أبناء عبقر لأحفاده هي عدم افساد الإبداع بالمعرفة، لأن هذا يشبه خلط حليب الناقة بالماء!!!!

وحين يتاح لي ان أشارك في لقاءين مُتزامنين أحدهما شعري والآخر معرفي، أكاد أن أنشطر الى جيكل وهايد، وتهددني شيزوفرينيا لا أبرأ منها الا بمغادرة أحد اللقاءين... لأن الشعراء أراحوا أنفسهم من شر السياسة والاقتصاد وكل ما يعصف بهم وبما حولهم من احداث جسام، واستغرقوا في لعبة مجانية ومنهم من تحولوا الى صيادين في أزقة أضيق من ذلك الزقاق الذي تحدث عنه الراحل جبرا في روايته «صيادون في شارع ضيق».

وثمة مفارقات لا أظن انها تحدث في مكان آخر من العالم، منها أن الشاعر العربي يخشى على لقبه كشاعر من الاشتباك مع ألقاب أخرى اذا اشتغل في الثقافة، وكتب في غير الشعر لكن على مقربة منه وربما تخومه....

وحين يفرط الشاعر في الحرص على لقبه يكون قد ودع آخر هاجس بريء وسؤال إبداعي يبحث عن تلبية حقيقية وليست على سبيل الحفاظ على الصفة او إدامة الانتساب الى النادي!

ولولا خشيتي من التكرار لرويت للمرة الالف تلك الحكاية التي اوردها ستيفن سبندر عن شاعرة أدارت ظهرها للواقع والسياسة ولحرب زمانها فدفعت الثمن مضاعفا.

لقد ورث شعراء الغرب خرافة مماثلة عن قمة الاولمب لكنهم تحرروا منها، وترجلوا الى القيعان واشتبكوا مع كل تفاصيل النهار وكتبوا في السياسة وعلم النفس واحيانا في الاقتصاد الثقافي، لكن ورثة وادي عبقر فعلوا العكس، فصعدوا بدلا من أن يترجلوا الى مرتفعات شاهقة ووهمية تحول الواقع تحتهم الى مصغرات توشك ان تكون غير مرئية بالعين المجردة.

والامية قدر تعلقها بالشاعر أخطر باضعاف من مثيلاتها لدى سواه، لأنه يعتقد بأنه يمتلك ما يعوضه عن المعرفة، وقد يتقمص قراءات لا تخص تجربته من قريب او بعيد.

وأذكر انني تحاورت مع شاعر مزهو بأميته، ففوجئت بأنه يردد كالببغاء عبارة سمعها من أحد زملائه في المقهى، وهي ان شعرية ريلكة كانت مصدر الهام للفلاسفة وليس العكس، عندئذ اكتفيت بالقول ان من يحدثني ليس ريلكة على الاطلاق، كما انني لا أعرف فيلسوفا استلهمه.

ان سهولة التقمص هي الصورة الحديثة لما كان يسميه اسلافنا الانتحال، ولدينا الآن من فائض المقولات المتداولة شفاهيا في المقاهي وأروقة الصحف ما يكفي للدفاع عن سيقان الأفعى وأجنحة السلاحف!!

***

ان من أطلقوا على المعري لقب فيلسوف الشعراء كان عليهم ان يطلقوا على آخر مضاد له اسم شاعر الفلاسفة، وهذا بحد ذاته يفتضح ذهنية تقيم عازلا جذريا بين العقل والقلب، لكأن العقل بلا عاطفة والقلب لا يفكر!

والمضادات المعرفية للشعر، وجدت تيارات تتبناها، من أجل الذهاب بالغنائية الأفقية الى أقصاها، مما أتاح للنقد المدرسي أن يحدد خانات لتصنيف الشعر، وفقا لمناسباته وما سمي أغراضه وليس وفقا لجوهره وتجلياته، وسيبقى الفارق هائلا وجذريا بين شعرية علزاء من المعرفة وأخرى ملقحة بالوعي ومشحونة برؤى لا تقيم فاصلا بين العناصر، فالشعر له فيزياؤه أيضا، لكن الاصرار على نفيه نحو عوالم هلامية، وأخيلة هذيانية بلا نسق أو نظام بنائي هو المعادل العصري لوادي عبقر وشياطينه المذكرة والمؤنثة على حد السواء!!!!

* شاعر وكاتب من الاردن

## إصدارات مغربية

# ذاكرة الثلج والمطر

**الرباط ـ «القدس العربي»:**

«ذاكرة الثلج والمطر» مجموعة شعرية للشاعر «سلام بكوري»، صدرت عن مطبعة «لاغوس برانت» بالمغرب، وجاءت ضامة بين دفتيها القصائد التالية: ذاكرة الثلج، حميمية مكان، الراعي، الحمل الجميل، حين اغتسل، ابتسامة، طيف، رمادي.. أملي، بقايا مساء، جنون المدى، تساقط اليراع، سؤال السديم، قصيدة بالأحمر، لحاء النظرة، لحظة عاقلة، شرنقة، الطريق، القارب، تأمل، يوم فقير، لذة الأرق، صرخة، سؤال بريء.

ومن نص «ذاكرة الثلج» نقرأ:

يكاد الزمن يحتضر
أمامي..
ويبقى سؤال العدم
شامخا، ملتهبا
ينطفئ في اللغة..
تكاد النداءات
تنهزم في داخلي..
وأنا أعد لغة أشيائي
للثلج والمطر.
على فنجان من رماد..

تقع المجموعة في 56 صفحة من الحجم المتوسط، ولوحة الغلاف من رسم المؤلف

# في مواجهة اليأس العربي

■ صدر عن منشورات الزمن العدد السادس عشر من سلسلة شرفات، تحت عنوان: «في مواجهة اليأس العربي» لمؤلفه المفكر والباحث المغربي كمال عبد اللطيف.

يتألف هذا الكتاب من قسمين حاول فيهما المؤلف الوقوف على واقع التأخر العربي، وعلى واقع الصراع الدائر في العالم مع مطلع الألفية الثالثة، ضمن اطار عام يمكن تلخيصه فيما يمكن تسميته بالاصلاح في العالم العربي.

لقد اهتم المؤلف في القسم الاول من هذا الكتاب بواقع الاضطراب في الرؤية والفعل داخل المجال السياسي العربي، والذي يزداد معه التطرف في المواقف الامريكية، وارتفاع وتيرة عدوانيتها. هذه الأوضاع التي تمخض عنها ما سمي بـ«الحرب ضد الارهاب» (الحرب الوقائية)، والتي ظهرت على اثرها دعوات لتنفيذ اصلاحات مستعجلة سياسيا وتربويا في العالم العربي. مسيرة الاصلاح هاته صارت تفرض على الانسان العربي فضلا عن اصلاح بنياته لتتماشى وروح العصر اصلاحا من نوع آخر يتجلى في تصحيح صورة العربي والمسلم في الثقافة الغربية والاعلام المعاصر.

ومما شغل المؤلف في كتابه هذا كذلك اهتمامه بالفعل العربي في مواجهة التحديات التي أفرزتها السياسة الامريكية بعد أحداث الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر 2001، والرامية الى فرض الهيمنة الامريكية المطلقة على العالم. وهكذا صارت مسألة اعادة بناء الذات والمجتمع في العالم العربي مسألة اجتماعية سياسية وتاريخية في ظل واقع يتطلب مناهضة التقليد السياسي. وعلى هذا الاساس يرى المؤلف تنامي تيارات التطرف الديني، يفرض استحضار مبادئ الانوار وقيم التنوير ضمن معركة للاصلاح الثقافي والديني. فرصة سمحت للمؤلف ليضع القارئ أمام ظاهرة فرضت نفسها على العالم أجمع (والعالم العربي بالأخص) ألا وهي ظاهرة الارهاب. لقد استرعى انتباهنا في موضوعه اختلاف الآراء حول تعريف هذه الظاهرة. وهكذا ختم المؤلف القسم الاول من الكتاب بوضع المشروع الاشتراكي في الميزان في ظل الواقع الجديد، وفي ظل المتغيرات التي عرفها ويعرفها العالم.

أما القسم الثاني من الكتاب فقد ارتبط بأشكال العجز الذاتي المرتبط بالقدرة العربية على تحقيق برامجها في الاصلاح والنهضة. من هذا المنطلق اهتم المؤلف بما أسماه نقد البهلوانيات السياسية التي يمارسها الحكام العرب، والتي أدت الى تكسير تاريخ من العمل السياسي ومن التضحيات المجتمعية. لقد أدت أحداث الحادي من ايلول (سبتمبر) الى صراع في المواقف، موقف أمريكي ينزع لما يسمى بـ«الحرب العادلة» (الحرب الوقائية)، وموقف عربي (ويقصد هنا موقف المثقف العربي) الذي ينزع لنقد أوهام القوة الامريكية، مع ابراز الطابع الأصولي والمتطرف للنظام الحاكم في الولايات المتحدة. وفي ظل تسليط الضوء على أشكال العجز العربي تم انتقاء نماذج في المشرق من مثل أزمة لبنان وأزمة العراق.. والارتباط بمشروع الهيمنة الامريكية (الشرق الأوسط الكبير). وفي المغرب تم تسليط الضوء على العلاقة المغربية الجزائرية ومشكل الصحراء والذي يعطل المشاريع التنموية والاصلاحية في البلدين.

وعلى هذا الاساس وجد المؤلف في اصلاح منظومة التعليم عاملا لتغيير الذهنيات والسلوكيات، من أجل المساهمة في انجاز ما يساعد على ادراك جيد للمتغيرات الجارية في قلب مجتمعاتنا وفي العالم. لكن في المقابل تظل معضلة انتشار الأمية في المجتمعات العربية من معيقات مسايرة روح العصر في ظل التطور المذهل على المستوى المعرفي، بفعل التطورات التكنولوجية والمعلوماتية.

# عبد الكريم غلاب: قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي

■ بغزارته الثرة المعهودة، أطلق عبد الكريم غلاب (عضو أكاديمية المملكة المغربية) كتابا من 3 أجزاء تحت عنوان : «قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي». وقد سطر المؤلف لكل جزء من هذا العمل القيم عنوانا خاصا، فجاء الجزء الاول موسوما بـ«مغرب الارض والشعب : عصر الدول والدويلات» والجزء الثاني: «عصر الامبراطورية: العهد التركي في تونس والجزائر» وقد حمل هذا العنوان الأخير أيضا الجزء الثالث من الكتاب.

ومنذ التقديم يطرح عبد الكريم غلاب سؤال جدوى كتابة التاريخ قائلا: «لماذا أكتب هذا التاريخ؟». سؤال لم ألقه على نفسي وأنا أكتب، أو بعد أن أنهيت هذا المؤلف الذي أضعه بين يدي القراء، وقبلهم بين يدي التاريخ. فهو عمل سيحاكمه التاريخ قبل أن يحاكمه القراء، وانما ألقيته منذ راودتني الفكرة، ومنذ كتبت، «تاريخ الحركة الوطنية في المغرب...». منذ كانت صلتي بالتاريخ دراسة وقراءة وكتابة وأنا أتساءل: لماذا يكتب التاريخ، وقد كتب نفسه؟ ولماذا أسهم في هذا العمل، وقد كتب الكاتبون، ولم يخل عصر من عصور المعرفة الا كان من بينه من يتعامل مع التاريخ، حتى في عصور الخسارة المعرفة و ضعف المستوى الفكري.

لم اقدم على هذه الخطوة والتي قبلها لأني لا أؤمن بالمستقبل أكثر مما أؤمن بالماضي فحسب، ولا لأن تاريخ المغرب العربي لم يحظ ـ بقدر ما يستحق ـ بالتأليف و الكتابة، ولكن لأني وأنا مدمن على الاحتكام الى التاريخ ـ رغم قلة ايماني به ـ أجده يؤكد حقيقتين: أولاهما: أن المغرب العربي ليس ابن اتفاقية مراكش لسنة 1989، وهو ابن أحلام المناضلين الذين راودتهم أحلامه، وهم في قلب المعركة في عواصمه المختلفة وفي نضالهم بباريس والقاهرة ونيويورك، بل ان المغرب العربي هو ابن انسانه المتحد في المنبت والجذور والأصل والانتماء، وجغرافيته التي تكون وحدته ونضاله المشترك من اجل البقاء والاستمرار قبل أزيد من ثلاثة آلاف سنة (هي التي سجلها التاريخ المعروف) وابن دينه ولغته اللذين عرفهما قبل أربعة عشر قرنا، وابن نضاله المشترك للعودة الى الوجود، بعد أن حاول الاستعمار الغربي ان يطمس وجوده، ويغيب هويته ويجعله ذيلا في جنوبه يمنحه الفضاء التوسعي، ويخدم رفاهيته ويشبع نهم بنيه.

ثانيهما: ان هذا الجزء المتحرك من العالم القديم، لم يكن كما مهملا، أو قطعة أرض معزولة عن الدنيا في المجاهل حتى جاء الاستعمار فكان من كشوفاته هذا المغرب الكبير. ولكنه جزء من العالم المتحرك بانسانه وموقعه الجغرافي وموضعه الاستراتيجي، تعامل مع العالم المتحضر في شرقه وشماله، أخذا وعطاء، تعاونا وتدابرا، صلحا وحربا».